المقتطف

الجزء الثالث من السنة الثانية والعشرين

١ مارس (اذار) سنة ١٨٩٨ — الموافق ٨ شوال سنة ١٣١٥

فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

(١٢) يوبيل الماس

الشكر على النعمة فرض ولهُ اساليب شتى تعلو بارتقاء الحضارة فلا تبلغ اسماها الاَّ عند ارقى الشعوب . لكن هؤلاء لا تخلو اساليب شكرهم مما هو فطري محض تشاركهم فيهِ المعجاوات جرياً على كل الافعال التي تشترك فيها القوى العقليَّة والعواطف النفسيَّة فيظهرون شكرهم باسمى الاعمال الاديبيَّة و يظهرونهُ ايضاً بالطرب والجذل. والعيد الذي عيَّدهُ الانكليز في الصيف الماضي لمرور ستين سنة منذ رقيت ملكتهم سرير الملك وهو المسمى بيوبيل الماس انما هو شكر نفوسهم على ما نالوهُ في عهدها من الراحة والرفاهة والمجد والسودد. وقد ابدوهُ على اساليب شتى من اقامة المدارس والمستشفيات واطعام الجياع واكساء العراة وانشاء المقالات الضافية في الصحف والمجلات الى الرقص والطرب وايقاد الانوار والنيران . واشترك فيهِ خاصتهم وعامتهم في مشارق الارض ومغاربها ومن كل الشعوب والالسنة فاعربوا عن شكرهم قولاً وفعلاً وشهدت لهم امم الارض كلها انهم محقون في ما ابدوا من ضروب البهجة ومظاهر الافتخار .

قال احد ائمة العرب القدماء واجاد "لقد سمعت تغريد الاطيار بالاسحار في فروع الاشجار وسمعتُ خفوق اوتار العيدان وترجيع اصوات القيان فما طربت من صوت قط طربي من ثناء حسن يلسان حسن عَلَى رجل قد احسن . وما سمعتُ احسن من شكر حرّ لرجل حرّ"

ومن ينكر على الامة الانكليزيّة ما ابدتهُ من مظاهر الشكر في عيد ملكتها وقد بلغت في عهدها شأوًا لم يبلغهُ الرومان في عهدهم فملكت خمس الكرة الارضيّة ودانت لها ربع سكانها . بل من ينكر على اولئك السكان المستظلين بالعلم البريطاني مشاركتهم للامة الانكليزيّة في عيد ملكتها وكلهم حرٌّ مطلق يتمتع بثمار عقلهِ وجنى يديهِ وكيفما اتجه وحيثما سار رافقتهُ الحماية البريطانيّة

وقد شرع الانكليز في الاهتمام بهذا اليوبيل من اول السنة الماضية وجاهر سكان مستعمراتهم برغبتهم في مشاركة الامة الانكليزيّة في هذا الاحتفال . وطلبت دول الارض كلها ان تشترك فيهِ. فمنهن دولة مستقلة لم تحجم واحدةٌ منها عن اناية من ينوب عنها في المجيء الى مدينة لندن والاشتراك في هذا الاحتفال لان ليس بين دولة منها والدولة الانكليزيّة عداء يمنع هذا الاشتراك. واول خاطر خطر للانكليز في بلادهم ومستعمراتهم وكل البلدان التي يقيم فيها جمهور منهم ان يظهروا شكرهم وولاءهم لملكتهم بعمل نافع واثر ثابت كمستشفى يقيمونهُ لتطبيب المرضى وتخفيف الآلام او مدرسة ينشئونها لتثقيف العقول وتهذيب الاخلاق او وليمة يولمونها للفقراء والمساكين الذين حرموا من اطايب الحياة . وقام شعراؤهم وكتّابهم يتغنون بفضائلها ويصفون مزايا ملكها لتبقى نفثات اقلامهم اثرًا راسخًا لا تمحوهُ كرور الايام

وابتدأ الاحتفال رسميًّا يوم السبت في التاسع عشر من شهر يونيو الماضي

وسار موكبهُ في بعض انحاء لندن التي لا يسير فيها يوم الثلاثاء وهو يوم الاحتفال العظيم لكي يراهُ سكانها وكان فيهِ ٢٢٣٦ فارساً و ١٥٠ ضابطاً. وفي اليوم التالي وهو يوم الاحد اجتمعت الجماهير في الكنائس تشكر الله عَلَى نعمهِ وتدعو للملكة بطول البقاء . ويوم الاثنين خرجت الملكة من قصر وندزور وجاءت الى قصر بكنهام في مدينة لندن واولمت فيهِ وليمة ملكيَّة فاخرة للامراء والعظماء الذين وفدوا من كل البلدان للاحتفال باليوبيل واستقبلتهم في المساء. وهي تُرَى في الصورة التالية جالسة والورد سالسبري كبير وزرائها ماثل امامها لتقبيل يدها ووراءهُ امير من امراء الهند بعمامتهِ وما عليها من الجواهر والى يمينها ولي عهدها برنس اوف ويلس واقرَّ الاعيان والنواب في مجلسيهم ذلك اليوم عَلَى رفع عريضتين لها يظهرون فيهما الشكر والولاء فلم يعترض عَلَى ذلك الاَّ نفر قليل من اعضاء ارلندا وهم عَلَى قلتهم لم يحذروا من المجاهرة بمخالفة سائر النواب بل بمخالفة امم الارض اجمع فكانوا دليلاً آخر على بلوغ الحريَّة والاستقلال في الرأي حدًّا لا مثيل لهُ في تواريخ الامم

ويوم الثلاثاء وهو اليوم المشهود انشقَّ فجرهُ عن سماء موشحة بالغيوم ثم اخذت الغيوم تنقشع رويداً رويداً فصفا وجه السماء وتكسرت اشعة الشمس عن اسلحة الفرسان وحللهم وجواهر القلائد وربات المجد والدلال . وكان موكب الاحتفال قسمين قسم المستعمرات وفيهِ فرسان من كندا واستراليا وزيلندا الجديدة ورأس الرجاء الصالح ونتال وسيلان وتريندال وقبرص وروديسيا ومشاة من هنغ كنغ وسنغافورة وجزائر الهند الغربيَّة وشاطئ الذهب وغير ذلك من البلدان الافريقيَّة وفيهِ ايضاً وزراء المستعمرات . وقسم المملكة وفيهِ فرسان ومدافع من اقسام الجيوش الانكليزيَّة وامراء السلطنة وقواد جيوشها البريَّة وامراء اساطيلها البحريَّة ونواب الدول واعضاء العائلة المالكة وامراء الهند وفيهِ مركبة الملكة

نفسها بجرعة ثانية من اجياد المصفحة ومعها زوجة ولي العهد وبرنس كرستيان

وقد ركب دوق كمبردج عن يسارها وبرنس اوف ويلس ودوق كنوت عن يمينها

وامام المركبة اربعون اميرًا يابهى الحلي والحلل . وخرجت الملكة من قصر بكنهام الساعة العاشرة صباحًا والموسيقى تصدح والمدافع تطلق واصوات التهليل والابتهاج من الجموع المزدحمة في كل المسالك والكوى والشرفات تملأ عنان السماء ولما خرجت من باب القصر وضعت يدها على زر آلة كهربائية فأُرسلت رسالة برقية في تلك اللحظة الى كل الممالك الانكليزية في اقطار المسكونة تقول فيها " انني من صميم الفؤاد اشكر شعبي المحبوب وتحل عليهِ بركات الله " . ولما بلغت مدخل المدينة القديمة مكان تمبل بار كان محافظ لندن وحكام اقسامها واعضاء مجلسها البلدي في انتظارها فترجّل المحافظ وحكام اقسام المدينة ودنا من مركبتها ويدهِ سيف المدينة على حسب العادات القديمة فرحّب بها وقدم لها السيف فلمسته يدها كما ترى في الصورة الثانية وامرتهُ ان يردّهُ الى مكانهِ ويحفظ بهِ ويتقدمها الى المدينة فصدع بالامر وعاد الى ظهر جوادهِ وسار امامها حاسر الرأس والسيف في يمينهِ . وكان الاساقفة ورؤساء الاساقفة قد انتظموا على درج كنيسة مار بولس اكبر كنائس لندن وقام حول رواقها الوزراء والسفراء واعضاء المجالس وكبار المستخدمين هم وزوجاتهم فلما وصلت مركبة الملكة الى امام باب الكنيسة علت اصوات المرتلين تشاركهم الموسيقات العسكرية وصلّى رؤساء الاساقفة واستنزلوا البركات الالهية ثم عادوا الى الترتيل ولم يكن إنشادسلام الملكة في ترتيب الاحتفال لكن الموكب اندفع الى إنشادهِ من تلقاء نفسهِ والى الدعاء لها بطول العمر . ثم عاد الموكب الى السير فبلغ قصر بكنهام نحو الساعة الثانية بعد الظهر

وزُينت المدينة تلك الليلة زينة باهرة لم يسبق لها مثيل اشتركت فيها انوار الغاز والكهربائية والاكسجين والهيدروجين واوقدت النيران الكبيرة في الفين وخمس مئة مكان في انكلترا وسكتلندا وارلندا

ويوم الاربعا جاء نواب الامة من مجلس الاعيان ومجلس النواب ورفعوا الى

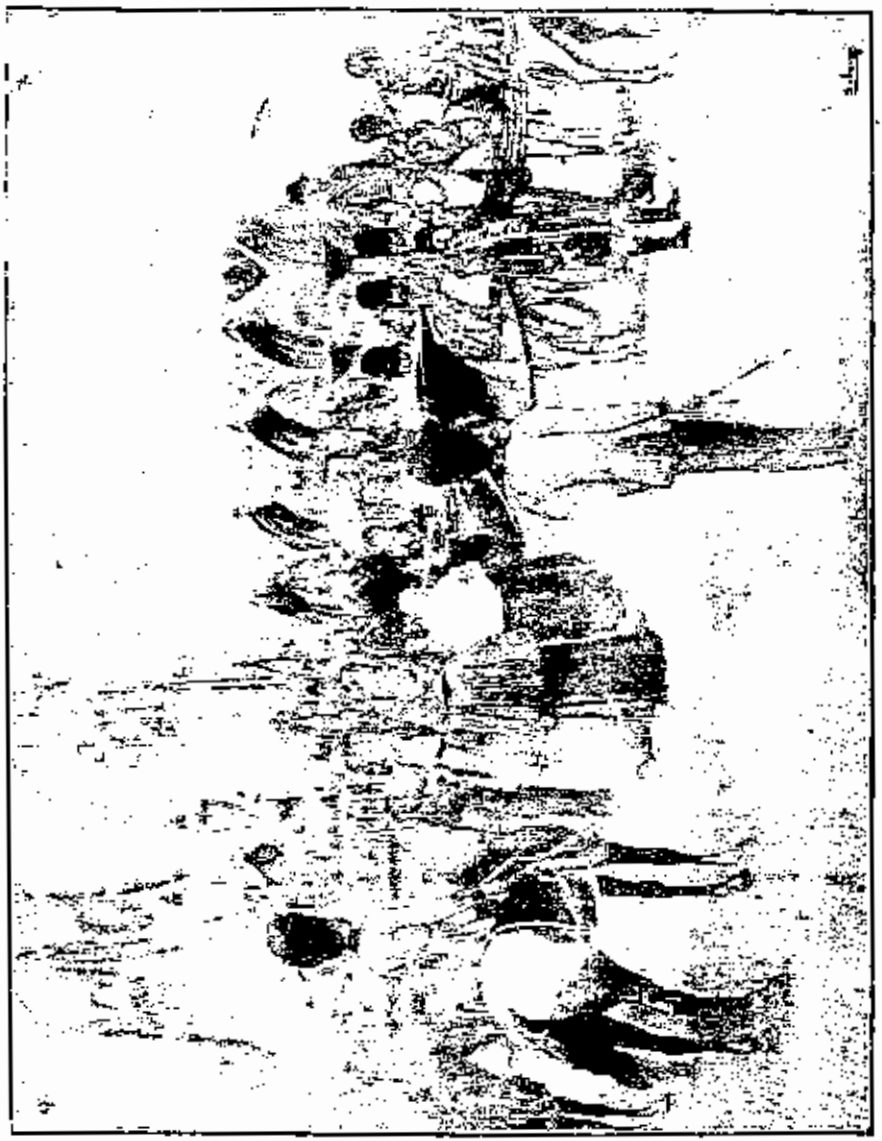

الملكة عريضتي الشكر المشار اليهما ثم استقبلت رؤساء المجالس البلدية وحكام الاقاليم وعادت الى وندزور واستعرضت عشرة آلاف ولد من تلامذة المدارس الابتدائية

ويوم الخميس استقبلت امراء الاساطيل البحرية التي حضرت للاحتفال باليوبيل. وكانت زوجة ولي العهد قد سعت في جمع مال تولم به وليمة فاخرة لفقراء مدينة لندن فدفع واحد من المحسنين خمسة وعشرين الف جنيه لهذا الغرض وبعثت بلاد استراليا عشرين الف خروف واكل في هذه الوليمة ٣١٠٠٠ نفس. وقضي يوم الجمعة بالولائم والافراح. واستعرضت البوارج الحربية يوم السبت فكان استعراضها اعظم ما جرى في هذا الاحتفال وهي ٦٥ بارجة ثمنها ٣٥ مليون جنيه وتحملها ٥٤٩٨٨٥ طنًا وقوة آلاتها البخارية مليون حصان وفيها من الرجال والضباط ٣٨٥٧٧ وكل بارجة منها مجهزة بكل ما يلزم لها لتسير حالاً الى اي مكان قريباً كان او بعيداً بل بعضها سار فعلاً الى ابعد الاقطار حالما تمّ الاستعراض. ولما استعرضت وقفت في خمسة صفوف طول كل صف منها نحو خمسة اميال. وما هي الاّ قسم صغير من البوارج الانكليزية المنتشرة في كل البحار ولم تدع واحدة منها للاشتراك في ذلك الاستعراض بل بقيت في اماكنها لتقضي ما يطلب منها من حماية المستعمرات الانكليزية والتجارة الانكليزية وهي ١٢٥ بارجة كبيرة وبعضها من اكبر البوارج واسرعها. وما احسن ما قاله الفيكونت ده ڤوغوي في جريدة الفيغارو الفرنسوية في وصف البوارج التي استعرضت حينئذٍ وهو

"ان البحر وطنها وهو الدار التي تسير فيها على هدًى ولو كانت مغمضة العينين والمادة التي تتصرف فيها كيف شاءت ووراء هذه البوارج التي تصل اليها ابصارنا يرى الانكليز بوارج اخرى لحلقات كثيرة متصلة من سلسلة تحيط بالكرة الارضية. فان البوارج التي كنّا نراها حينئذٍ هي الاولاد المقيمة في البيت اما اخواتها المنتشرة في كل البحار فلم تتحرك من اماكنها وهي اليوم رابضة في بحار اسيا وافريقية والبحر المحيط كما كانت امس وما قبله منتظرة امرًا من الكاترا لتعمل به

والامر يلفها في لحظة من الزمان مجري في قاع البحر على الاسلاك الانكليزيَّة . وسطح البحر وقاعهُ شبكتان من الحديد شبكة تجري عليها الاوامر وشبكة تقوم بها الاعمال وكلتاهما محيطة بالارض . الدنيا كلها في شبكة الامة الانكليزيَّة . سلطنة لا تعدُّ سلطنة الرومان في جنبها الاَّ ولايةً . وقد تخطئوني وتقولون شبهها بقرطاجنة لا برومية فهي مثل قرطاجنة من بعض الوجوه بتفضيلها المصالح المادية ورغبتها الشديدة في الكسب . ولكن الانصاف يجبرنا على ان نشبهها برومية ايضاً . برومية في الحزم والشجاعة وسمو المدارك وشرف المبادىء"

ولم تحضر الملكة هذا الاستعراض بل حضرهُ وليُّ عهدها بالنيابة عنها في السفينة المسماة فكتوريا والبرت تتبعها السفينة قرطاجنة وعليها امراء الهند ثم سفن أُخرى تقلُّ امراء البحريَّة ووزراء المستعمرات وسفراء الدول واعضاء مجلس الاعيان واعضاء مجلس النواب . وكانت البوارج تطلق مدافع التحيَّة كلما مرت بها هذه السفن . وفي المساء بزغت فيها كلها الانوار الكهربائيَّة في لحظة واحدة وكانت مصفوفة على جوانبها وسواريها فترسم اشكالها بالنور الساطع على صفحات ذلك الليل البهيم

ولقد شارك العثمانيون الامة الانكليزيَّة في افراحها فبعث مولانا السلطان الاعظم سفيرهُ الى باريس مندوباً خاصاً لحضور الاحتفال باليوبيل وبعث سمو الخديوي المُعظَّم اخاهُ البرنس محمد علي لهذه الغاية وظهرت الجرائد العربية والتركيَّة كلها مدبجة بالمديح ناشرة فضائل الملكة فكتوريا مهنئة الامة الانكليزيَّة بما حازتهُ في عهدها من المجد ورفعة الشان

هذا ما اردنا جمعهُ ونشرهُ من تاريخ الملكة فكتوريا افادةً للقراء وتذكرةً لارباب السيادة منهم . والله مالك الارض وما عليها